المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأصلي وأسلم على النبي الأكرم الذي أوتي جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد:

فقد حظي النحو العربي بعناية كبيرة منذ بداية ظهوره على أيدي البصريين، وألفت الكثير من المؤلفات في نشأته والمراحل التي اجتازها حتى استوى قائمًا. واستطاع الدارسون أن يقفوا على تاريخ رجاله ومؤلفاتهم ومذاهبهم النحوية المختلفة، وما دار بينهم من خلاف في الآراء رغبة منهم في تحقيق الغاية من النحو العربي وهو صيانة اللسان من الخطأ واللحن.

وحفظت المؤلفات النحوية الكثير من المصطلحات النحوية التي كانت بمثابة اللغة الخاصة بين النحويين، لكن وجود هذه المصطلحات واتفاق النحاة عليها لم يكن منذ بدء ظهور النحو فقد تطورت مع تطور علم النحو نفسه.

ولما كانت أكثر الدراسات القائمة على المصطلح النحوي تتجه لبحث نشأته وتطوره، أو ما يقابل المصطلح البصري (كذا) عند الكوفيين ــ مع ما قدمته هذه الدراسات من ثمار طيبة ــ فقد خصصت هذه الدراسة بدراسة المصطلح النحوي بين زعيمي المدرسة البصرية: الخليل وسيبويه، فهما يمثلان البداية الحقيقية لعلم النحو العربي بشكله المحدد وقواعده الثابتة. ومن هنا جاء عنوان هذا البحث:

المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه

دراسة نحوية وصفية

أما عن القيمة العلمية لهذا الموضوع فإنها تظهر في جمع النظائر ووضعها في إطار واحد، لتظهر الفوارق، وتمكن الموازنة وتكتمل الأحكام، وهذا النمط من الدراسة النحوية هو ما نحتاج إليه في خدمتنا لتراثنا النحوي ولرجاله الأفذاذ الذين وضعوا أصوله وقواعده ومصطلحاته، وهو يكشف أيضًا عن مدى التطور الذي حدث للمصطلح النحوي على يد الخليل ومن قبله، وسيبويه ومن جاء بعده.

وإني أحسب أن جمع هذه الجهود المخلصة حول المصطلح النحوي ووضعها معًا للموازنة شيء يفيد في ميدان تأصيل النحو. وقد اقتصرت على الخليل بن أحمد الفراهيدي وعمرو بن عثمان الملقب بـــ"سيبويه"، لأنهما بحق هما واضعا أصول ومصطلحات النحو العربي.

أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع:

- قيمة العلمين اللذين تدور حولهما الدراسة، وبيان فضل الأستاذ على التلميذ مع بروز التلميذ في هذا العلم، لاسيما أن علم النحو نسب لسيبويه وليس للخليل. وكذلك لعدم وجود دراسة مستقلة تتناول بشيء من التفصيل المصطلحات النحوية بين الخليل وسيبويه وإن كانا قد درسا ضمنًا ــ كما سيظهر في ثبت الدراسات السابقةــ ومع وجود دراسات وبحوث أقيمت على المصطلح النحوي إلا أنه يبقى مجالًا خصبًا للدراسة بخاصة إذا تم الربط بينه وبين الخليل وسيبويه.
- أن هذا الموضوع يبحث في أصالة المصطلح النحوي، ويتعرف على منْ له الفضل في وضعه أولا، مما يساعد على الاتصال بتراث الخليل النحوي، والوقوف على مصطلحاته النحوية، وكذلك الاتصال بكتاب سيبويه المُسمى (قرآن النحو)،

والوقوف على طريقته في صياغة المصطلح، والتعرف على المصطلحات النحوية المتناثرة في كتب النحويين وتتبعها بدءًا من الخليل وسيبويه مع الكشف عن ملامح التطور والتغيير فيها. كما يمكّن من تطبيق منهج الموازنة بين المعطيات النحوية من خلال هذين العالمين، لمعرفة المصطلحات التي وافق فيها سيبويه أستاذه والتي خالفه فيها، ومعرفة من وافقهما من النحويين أو خالفهما. وهذا البحث سيضع ــ إن شاء الله ــ أمام الباحثين مادة نحوية قد تكون في بعض جوانبها جديدة، وتكون في مجموعها جديرة بالدراسة والتحليل.

الهدف من دراسة هذا الموضوع:

الهدف من هذا البحث هو تتبع المصطلحات النحوية عند هذين العلمين، ونسبة المصطلحات إلى واضعيها. كما يهدف إلى الموازنة بينهما وبين النحويين الذين جاءوا من بعدهما من خلال جمع المتفرق والمتفق من جهودهم حول المصطلح النحوي، لمعرفة تلامذة كل منهما في المصطلحات، وهذا سيعطي ــ إن شاء الله ــ فوائد عدة:

- خدمة النصوص النحوية برصد كل ما قيل حولها.
- الكشف عن القول الأصيل، ونسبة كل فضل إلى صاحبه.
- بيان الراجح من المرجوح، والقوي من الضعيف في تأصيل هذه القضية النحوية.

الدراسات السابقة:

هناك العديد من الدراسات المقامة على المصطلح النحوي، وقد تناول بعضها المصطلح عند الخليل وسيبويه ضمنًا وبشكل مختصر دون استقصاء تام، ومن أهمها:

1 ــ المصطلحات النحوية نشأتها وتطورها، لسعيد أبو العزم إبراهيم، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم ــ القاهرة، 1397هـ = 1977م. وحاولت الحصول على هذه الرسالة فلم أتمكن من ذلك، إلا أن عنوانها يشير إلى أنها تناولت المصطلح النحوي بشكل عام دون تحديد بحثه بفترة معينة أو عند نحاة معينين. وهذه العمومية في دراسة المصطلح النحوي تجعل البحث مختصرًا في كثير من جوانبه.

2 ــ المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، للدكتور: عوض حمد القوزي، رسالة ماجستير، كلية الآداب _ جامعة الرياض، 1399هـ = 1979م. وقد طبعت الرسالة في كتاب فكانت الطبعة الأولى عام 1401هـ = 1981م، ودرس الباحث مفهوم المصطلح النحوي، وتتبع نشأة الاصطلاحات النحوية عند أبي الأسود الدؤلي وتلاميذه، ثم تحدث عن التهيئة لظهور المصطلحات النحوية عند عبد الله الحضرمي وعيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء، وعقد فصلًا للحديث عن المصطلح النحوي عند الخليل وسيبويه من خلال الكتاب، وتناول في الفصل الأخير المصطلح النحوي بين البصريين والكوفيين. ويلاحظ على هذه الدراسة ما يلي:

3- تناول المصطلح النحوي بشكل واسع (قبل تأسيس علم النحو، ومرحلة تأسيسه بظهور كتاب سيبويه، وعند البصريين والكوفيين) مما جعل هذه الدراسة تقع في عيب وقعت فيه الدراسة السابقة، فكان الاختصار سمة من سماتها.

4- اقتصر الباحث في تناوله لمصطلحات الخليل على ما ورد في الكتاب فقط، وهذا مما وسع دائرة البحث لدي، فقد اعتمدت على ما ورد في مصنفات الخليل مع ما ورد في كتاب سيبويه منسوبًا للخليل مما جعلني أقف على مصطلحات خليلية لم يصل لها

الباحث. وقد اعترف بذلك فقال: "أني لا أدعي أن هذه الاصطلاحات هي كل ما روي عن الخليل، فلم يكن همي إحصاؤها كلها، ــ وأنى لي ذلك ــ؟! "[1].

5- عرض الباحث مصطلحات الكتاب بشكل مجمل، مقتصرًا على الواضح منها، واعترف بذلك فقال: "إن المصطلح النحوي عند سيبويه جدير بدراسة مفصلة مستقلة، وإنه يحتاج إلى جهد يتضاءل أمامه جهد أمثالي من المبتدئين في طريق صحبة كتابه وإني هنا لأسجل اعترافي بأني لم أطرق من مسائله إلا ما كان سهلا علي الدخول فيه، ولم أغص حتى الآن في لججه، فلا يطمعن من يقرأ هذا البحث في الوقوف على أسرار كتاب سيبويه فهو بعيد الغور صعب المراس"[2].

6- يذكر الباحث أن "حال المصطلح النحوي عند سيبويه هو نفسه عند الخليل"[3]، وهذا يخالف ما أثبتته الدراسة التي قمت بها حيث رجعت إلى مصنفات الخليل الأخرى في إثبات مصطلحه النحوي.

7- اعتمد الباحث على كتب التراجم والقراءات في نسبة مصطلحات النحويين القدماء قبل الخليل الذين لا تتوفر لهم مصادر يعتمد عليها في تلك النسبة، مما يجعل النتائج غير دقيقة، فقد يقع التحيز عند مؤلف هذا الكتاب في نسبة المصطلح، أو يذكر مصطلحات عصره عند حديثه عن هؤلاء النحاة المتقدمين. وبالرغم من ذلك فقد بذل الباحث جهدًا عظيمًا، وقد أفدت من بحثه كثيرًا.

8- المصطلح النحوي، دراسة نقدية تحليلية، للدكتور: أحمد عظيم عبد الغني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ط، 1410هـ = 1990م. وتناول الباحث مصطلحات

(1) عوض حمد القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، (الرياض: عمادة شؤون المكتبات ــ جامعة الرياض، 1401هـ = 1981م)، 121.
(2) المرجع السابق ، 129.
(3) المرجع السابق.

النحو كما هي في كتب أئمة المدارس والعصور المختلفة، وليس تقديم موقف كل نحوي ــ في كتبه ــ من مصطلحات من سبقوه ممن شاركوه المذهب، أو ممن يخالفونه الاتجاه. وتجنب الباحث عن قصد سيبويه، لأن المصطلح عنده ــ كما يرى الباحث ــ كان في مرحلة الطفولة المبكرة، كما يلاحظ أنه ما أوفى النحاة ولا النظريات النحوية حقها من الدراسة والتحليل.

9- أثر المصطلح النحوي العربي في المصطلح النحوي العبري القديم، ليوسف عبدالرحيم أحمد ربابعه، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ــ الأردن، 1992م. وقد تناول الباحث نشأة النحو العربي وانتقاله إلى الأندلس، ونشأة النحو العبري في المشرق والمغرب وازدهاره وتطوره في الأندلس، وهذا يمثل الجانب النظري من دراسته أما الجانب التطبيقي فكان دراسة مقارنة بين المصطلح النحوي العربي والمصطلح النحوي العبري، وبيان أثر الأول في الثاني.

10- أساليب تعريف المصطلح النحوي، لماجد شتيوي دخيل الله القريات، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم، جامعة آل البيت ــ الأردن، 2002م. وتناول الباحث كيفية تعريف المصطلح النحوي أو الأساليب التي يلجأ إليها النحويون في تعريف المصطلح النحوي، وذكر تأثير علم أصول الفقه والمنطق على تعريفات بعض النحاة للمصطلح النحوي.

11- المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، لتوفيق قريرة، نشر كلية الآداب ــ منوبة، دار محمد علي، تونس، ط1، 2003م. وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه عنوانها: "المصطلح النحوي وعلاقته بتفكير النحاة من خلال الأمهات وكتب الشروح". وهو عبارة عن بحث نظري في المصطلح يتعلق بصناعته وبعلاقته بالتفكير، ويرى

الباحث أن قيمة المصطلح تكمن في ارتباطه بتفكير النحاة أي باعتباره معبرا إلى دراسة فكر منتجيه.

12- تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري، ليحيى عطية عبابنه، نشر جدارا للكتاب العالمي ــ عمان وعالم الكتب الحديث ــ أربد، الأردن، ط1، 2006م، وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ــ الأردن، 1984م. وقد أفدت من هذا الكتاب كثيرا، فقد تناول المصطلحات النحوية مقسمة وفقا لما قام به النحويون. ويلاحظ على هذه الدراسة ما يلي:

- الاختصار في تناول بعض المصطلحات النحوية، فقد أغفل الباحث الحديث عن بعض التقسيمات نحو: الأسماء الخمسة، و(اللام) التي ينصب المضارع بعدها بإضمار(أن) وغيرها. كما خلط في بعض المصطلحات، نحو: إدراجه مصطلحات النعت المقطوع مع مصطلح الاختصاص.

ــ إغفال بعض مصطلحات سيبويه، نحو: مصطلح (الواجب) مع الفعل الماضي، و(الوصف) مع ضمير الفصل، و(الحروف) مع الأفعال، و(الاسم) مع الفاعل وغيرها.

ــ تأكيد نسبة بعض المصطلحات لنحاة متأخرين عن سيبويه، فعدهم الباحث أول من استخدم المصطلح، أو نسبته لنحاة الكوفة دون تحري وضع المصطلح قبل سيبويه، فقد كان الخليل المبدع الأساسي والواضع الأول له، وذلك نحو: نسبته مصطلح (الكناية) للكوفة بمعنى (الضمير)، ونسبته مصطلح (الضمير) للأخفش الأوسط وعده أول من أشهر استعماله، ونسبته مصطلح (حروف الخفض) و(الشرط) للمبرد وغيرها. ومن المعاني التي نسبها لنحاة متأخرين: (بيد) للاستثناء بمعنى (غير)، فقد نسبه لابن السراج، ومعنى الاستدراك لـــ(لكن)، فقد نسبه للمبرد وغيرهما. وبالرغم من ذلك

يحسب الباحث فضله في البحث المستقصي وتتبعه لتطور المصطلح النحوي بدءا من سيبويه إلى الزمخشري.

13- المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، للدكتورة: إيناس كمال الحديدي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2006م. وهذا الكتاب ينضوي تحت لواء علم الاصطلاح، فهو دراسة لمصطلحات النحو العربي بما استقر عليه علم الاصطلاح الحديث من مناهج وأدوات، وتناولت الباحثة المصطلح النحوي البصري والكوفي منذ سيبويه والفراء، فووجهت بتعدد المصطلحات وتداخل كثير منها واختلاط مفاهيمها.

وهناك معاجم تناولت المصطلحات النحوية، ومنها:

1_ الخليل، معجم مصطلحات النحو العربي، لجورج متري عبد المسيح، وهاني جورج تابري، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1410هـ = 1990م.

2_ معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، للدكتور: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2001م.

3 _ المعجم الوافي في النحو العربي، للدكتور: علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة ــ بيروت، د. ط، د. ت.

وهذه المعاجم تهتم بفهرسة المصطلحات النحوية حسب ترتيبها الهجائي مع شرح المصطلح وبيان حالاته وأقسامه، وقد تذكر تسمياته الأخرى عند بعض النحويين.

كذلك هناك كتب تناولت المصطلح النحوي كجزء من دراستها، ومنها:

1_ الخلاف النحوي في المنصوبات، لمنصور صالح الوليدي، عالم الكتب الحديث ــ عمان وجدارا للكتاب العالمي ــ إربد، ط1، 2006م.

فقد تناول الباحث في المبحث الثاني من الفصل الأول الحديث عن الخلاف في المصطلحات المنصوبات.

2_ نحو الخليل من خلال الكتاب، للدكتور هادي نهر.

3_ نحو الخليل من خلال معجمه، لنفس المؤلف السابق. وهذان الكتابان الأخيران تناولا بعضا من مصطلحات الخليل، ففي الكتاب الأول عقد الباحث الفصل الأخير بعنوان: الخليل وأصول النحو ومصطلحاته. لكنه قدم اعترافه فقال: "وأنا لا أدعي الوقوف على جهد الخليل كله، إذ أعترف بأن شيئا قد فاتني هنا، وشيئا فاتني هناك"[1].

واعترف أيضا بأنه لم يعرض لمصطلحات الخليل الواردة في الكتاب بشكل مفصل، بل اكتفى بعرض نص الخليل المذكور في الكتاب بدون التعليق عليها أو تفصيل الحديث فيها، تاركا ذلك لمن يأتي بعده من الباحثين الجادين[2].

وفي الكتاب الثاني ذكر المؤلف ثلاثة عشر مصطلحا فقط للخليل من خلال معجم العين بشكل موجز دون استقصاء جميع مصطلحاته النحوية الواردة في العين، واعترف الباحث بذلك فقال: "ومن هنا آثرنا أن نقف على بعض المصطلحات النحوية الواردة في العين التي أطلقها الخليل ولم يؤلف بعضها في آثار غيره، أو التي استعملها في دلالة خاصة أو التي اختلطت بمصطلحات عُزي الفضل في وضعها لعلماء غيره، وقد أعرضنا عن ذكر المصطلحات المعروفة الشائعة في كتب النحاة منذ عهد الخليل

(1) أ. د. هادي نهر، نحو الخليل من خلال الكتاب، د. ط، (عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2006م)، 10.
(2) انظر: المصدر السابق، 318.

وإلى يومنا هذا... أو غير ذلك من المصطلحات التي لا تقع في دائرة الخلاف أو التنازع البصري الكوفي"[1].

ولا شك أن موضوع هذا البحث يشترك مع موضوع الدراسات السابقة، لكنه يتميز في تخصيص بحث المصطلح النحوي بين مؤسسي النحو البصري: الخليل وسيبويه، وتتبع مصطلحات كل منهما، والتعرف على مدى التوافق والاختلاف بينهما، لمعرفة صاحب الفضل في تأصيل المصطلح النحوي واستمراره بين النحاة، ومعرفة المصطلحات المندثرة، والموازنة بينهما في المصطلح. وأشير بأني حاولت قدر المستطاع جمع مصطلحاتهما والإضافة على ما ذكره الباحثون السابقون، مع مناقشة بعض ما توصلوا إليه من نتائج أو انتقادها وتصحيحها حسبما تثبته الدراسة.

أما المنهج الذي ستقوم عليه الدراسة إن شاء الله تعالى فهو:

- **المنهج الوصفي:** الذي يقضي باستقراء ووصف المصطلحات النحوية في كتب الخليل، وكتاب سيبويه وكتب النحويين، ثم عرضها وتحليلها وشرحها ونقدها والموازنة بينها لمعرفة القوي من الضعيف، والراجح من المرجوح، والمجمع عليه من المختلف فيه. ثم رصد المواطن التي خالف فيها سيبويه أستاذه الخليل، والمواطن التي وافقه فيها.

- **المنهج التاريخي:** الذي يقضي بتتبع المصطلح النحوي في كتب الأقدمين حسب تواريخ وفاتهم بدءا من الخليل وسيبويه.

وأما منهجي في عرض وتناول المصطلحات النحوية، فقد كان يبدأ بعرض معنى المصطلح لغة واصطلاحا، واعتمدت في بيان المعنى اللغوي على المعاجم

(1) انظر: المصدر السابق، 22.

اللغوية القديمة والحديثة، واعتمدت في بيان المعنى الاصطلاحي على كتب النحاة الأصول أو الشروح وكذلك كتب التعريفات والحدود. وفي بعض الأحيان كنت أضيف لما سبق ذكر حالات ذلك المصطلح وأحكامه وتفصيلاته الأخرى، وهنا أضع المصطلح تحت عنوان (مدخل).

ثم تتبعت المصطلح النحوي عند الخليل، واعتمدت على مؤلفاته وهي: الجمل في النحو، والمنظومة النحوية، ومعجم العين. كما اعتمدت على نصوصه وأقواله في كتاب سيبويه، وأشير إلى أني لم ألتزم بمنهج معين في عرض أقوال الخليل من المصادر السابقة، بل كنت أذكر أقواله حسب أهميتها في توضيح ذلك المصطلح. ثم انتقلت إلى تتبع المصطلح النحوي عند سيبويه من خلال الكتاب، ثم أوازن بينهما في المصطلح لأبين أيا من مصطلحاتهما بقي وتناقله النحاة فيما بعد، وأيهما أندثر. وفي بعض الأحيان أنتقل إلى ذكر المصطلحات المخالفة لمصطلحاتهما عند النحاة من خلال الرجوع إلى كتب النحاة قديمها وحديثها لاسيما نحاة البصرة ومن وافق مذهبهم. وأنوه إلى أني إذا رأيت المصطلح البصري مخالفا لما ذكره الكوفيون أفرد عنوانا خاصا بالمصطلح عند الكوفة.

وقد انتهجت في بحث حروف المعاني بين الخليل وسيبويه طريقة منهجية فيها نوع من التبويب، حيث رتبت الحروف المندرجة تحت فئة واحدة ترتيبا ألف بائيا ــ قدر الإمكان ــ إلا إذا كانت هناك حروف لا بد أن تدرج مع بعضها لاشتراكها في نص واحد عند الخليل أو سيبويه، نحو حروف القسم (الباء والتاء والواو) والتي تدرج مع حروف الجر. وتناولت كل حرف من هذه الحروف عند الخليل أولا ثم عند سيبويه، ثم أنتقل إلى الحرف الآخر وهكذا ، مع بيان المعاني التي استقرت عند النحاة

لتلك الحروف، ومدى موافقتها أو مخالفتها لمعاني الخليل وسيبويه، ومن له الفضل منهما في تأصيل معنى ذلك الحرف.

وفي الفصل الأخير قمت بإجراء موازنة بين مصطلحات الخليل وسيبويه بإحصاء عدد مصطلحاتهما ومعانيهما النحوية من خلال البحث، وذكر ما وافق فيها سيبويه أستاذه وما خالفه فيها، وموقف النحاة من مصطلحاتهما حتى يتضح دور كل منهما في وضع المصطلحات النحوية مع بيان موقف بعض المؤلفات النحوية من قضية المصطلح النحوي والبحث عن أصالته.

وأنوه إلى أنه عند الاعتماد على كتاب واحد فقط للمؤلف فإنني أشرت إليه في الهامش بعبارة (مصدر سابق) أو (مرجع سابق) إذا لم تكن أول مرة يذكر فيها ــ وفقا لما ورد في دليل كتابة الرسائل العلمية ــ، أما عند الاعتماد على أكثر من كتاب لنفس المؤلف فقد كنت أنص على اسم الكتاب في كل مرة يهمش له حتى لا يقع القارئ في خلط المراجع والمصادر، مع ذكر لقب المؤلف أو عائلته قبل ذكر اسم الكتاب. وعند تعدد أجزاء الكتاب الواحد واختلاف بيانات الطباعة لكل جزء، فإنني كنت أذكر بياناته كاملة أول مرة في الهامش، وعند ذكر أجزائه الأخرى ــ لأول مرة ــ كنت أنص على البيانات المختلفة لذلك الجزء، ثم أكتفي في المرات التالية بذكر لقب المؤلف أو عائلته واسم الكتاب مع تحديد الجزء والصفحة.

وقد حرصت في كل البحث على إحالة الأقوال إلى مصادرها، وتوثيق الآراء والمصطلحات النحوية من مؤلفات أصحابها، وفي حالة عدم حصولي عليها كنت أوثقها من الكتب التي نقلتها عن أصحابها. واعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع لاسيما المصادر البصرية، بدءا بكتب الخليل وكتاب سيبويه مرورا بأمهات

الكتب وكذلك كتب الشروح والمتأخرين، ومن أبرزها: معاني القران للأخفش، والمقتضب للمبرد، والأصول في النحو لابن السراج، والإيضاح العضدي للفارسي، والخصائص واللمع لابن جني وشرح المفصل لابن يعيش، وأوضح المسالك وشرح شذور الذهب وشرح قطر الندى لابن هشام وغيرها. أما المصادر (الكوفية فقد اعتمدت على كتاب معاني القرآن للفراء في إثبات المصطلح الكوفي مع الرجوع إلى الدراسات التي تناولت مدرسة الكوفة ومصطلحاتها، وقد استعنت ببعض المراجع والدراسات الحديثة التي تخدم موضوع بحثي وقمت بإثباتها في موضعها من ثبت المصادر والمراجع، وقد تخيرت من النصوص ما فيه توضيح المرام بما يخدم فكرة البحث في المصطلح النحوي.

واقتضت طبيعة الموضوع أن يأتي البحث في سبعة فصول تسبقها مقدمة، وتمهيد تناولت فيه نشأة النحو، وتعريف المصطلح النحوي، ونبذة موجزة عن الخليل وسيبويه، حتى يتم الإلمام بإيجاز بمفردات عنوان البحث. ثم مدخل بعنوان: تطور المصطلح النحوي عند النحويين.

ثم **الفصل الأول** بعنوان: المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه في أقسام الكلمة والإعراب والبناء، وفيه مبحثان: الأول: أقسام الكلمة، والثاني: الإعراب والبناء.

والفصل الثاني بعنوان: المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه في المرفوعات، وفيه ثلاثة مباحث: الأول: مرفوعات الجملة الاسمية، والثاني: مرفوعات النواسخ، والثالث: مرفوعات الجملة الفعلية.

والفصل الثالث بعنوان: المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه في المنصوبات، وفيه ثلاثة مباحث: الأول: المفاعيل الخمسة، والثاني: المحمول على المفعول به، والثالث: المشبه بالمفعول في اللفظ.

والفصل الرابع بعنوان: المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه في المجرورات، وفيه ثلاثة مباحث: الأول: المجرور بحرف الجر، والثاني: المجرور بالإضافة، والثالث: المجرور على الجوار.

والفصل الخامس بعنوان: المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه في المجزومات، وفيه مبحثان: الأول: الجزم بـــ(لم) وأخواتها، والثاني: الجزم بالشرط والجزاء.

والفصل السادس بعنوان: المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه في أبواب نحوية متفرقة، وفيه ثلاثة مباحث: الأول: التوابع، والثاني: الأساليب النحوية، والثالث: حروف المعاني.

والفصل السابع بعنوان: مصطلحات الخليل وسيبويه في الميزان، وتناولت ذلك من خلال ثلاثة محاور، الأول: مجموع المصطلحات النحوية لكل منهما. والثاني: موقف سيبويه من مصطلحات الخليل، والثالث: مصطلحات الخليل وسيبويه بين البقاء والاندثار. وقد تم فيه أيضا تحديد مجموعة من الظواهر النحوية التي توصلت إليها الدراسة مع مناقشتها.

ثم الخاتمة وتحوي أهم النتائج التي خرج بها البحث وذيلت الدراسة بفهارس فنية بالإضافة إلى فهرس المحتويات.

ولم يكن ميدان البحث يخلو من عوائق وصعوبات منها: غموض عبارات سيبويه ولّد صعوبة في تحديد المصطلح عنده أو فهم مراده، وصعوبة الكتاب نفسه من حيث الترتيب والتبويب وعدم وجود عناوين محددة لبعض الأبواب النحوية ــ كالحال ــ بل ينثر الحديث عنها في أبواب مختلفة. وقد اقتصرت في توثيق مصطلحات الخليل على مصنفاته المذكورة سابقا وما ورد في الكتب منسوبا له، وربما كانت له آثار أخرى تحمل أفكاره ونتاجاته ومصطلحاته النحوية لم تصل إلينا كاملة ــ والله أعلم ــ.

وبفضل من الله عز وجل فقد تم هذا البحث، ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر والعرفان للدكتورة: خديجة عبد العزيز الصيدلاني، لما شملتني به من رعاية وعون وتشجيع طيلة فترة إعدادي لهذا البحث، نفع الله بعلمها وجزاها بأحسن الجزاء.

وختاما، فلا أدعي الكمال فيما صنعت، ولست أرى أن ما قدمته في هذا البحث هو كل ما يمكن أن يقال عن المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه، إلا أنها محاولة بذلت فيها قصارى جهدي فإن أصبت فمن الله بفضله وحوله وقوته، وإن جانبت الصواب كان لي أجر الاجتهاد والمحاولة الصادقة. وأسال الله التوفيق والسداد، إنه على ذلك قدير.

التمهيد

أــ نشأة النحو.

إن تاريخ النحو ونشأته وتطوره حظي بعناية من قبل العلماء قديما وحديثا، فعلم النحو كسائر العلوم الأخرى نشأ بسيطا ثم تطور شيئا فشيئا مع مرور الزمن وتوافر العلماء والنحاة عليه. إلا أن البحث في أوليته عملية تكاد تكون صعبه، يقول د. شوقي ضيف: "لما كانت العلوم في الأمم لا تظهر فجأة، بل تأخذ في الظهور رويدا رويدا حتى تستوي على سوقها، كان ذلك مدعاة في كثير من الأمر لأن تغمُض نشأة بعض العلوم وأن يختلط على الناس واضعوها المبكرون"[1].

وقد اضطربت الروايات في تحديد الواضع الأول لعلم النحو، يقول أبو سعيد السيرافي (ت: 368هــ): "اختلف الناس في أول من رسم النحو: فقال قائلون أبو الأسود الدؤلي، وقال آخرون: نصر بن عاصم الدؤلي، ويقال الليثي، وقال آخرون عبدالرحمن بن هرمز. وأكثر الناس على أبي الأسود الدؤلي"[2]. وتناول د. عوض القوزي[3] الأقوال والروايات المتعددة المتعلقة بأول من رسم النحو، وذكر أن فريقا ينسبه لأبي الأسود، وفريقا ثانيا ينسبه لعلي بن لأبي طالب، وفريقا ثالثا ينسبه لعبد الرحمن بن هرمز أو نصر بن عاصم أو يحيى بن يعمر. ثم علق على ذلك بقوله:

---

(1) شوقي ضيف، المدارس النحوية، ط8، (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، 13.
(2) أبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبدالمنعم خفاجي، (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1374هــ = 1955م)، 10.
(3) انظر: القوزي، مرجع سابق، 26ــ 28.

"وبمناقشتها يتضح أن أحدا من هؤلاء الرواة لم ينف نسبة النحو إلى أبي الأسود حتى من نسبها إلى غيره لم ينسب ذلك إليه بإنفراد"[1].

وتضطرب الروايات أيضا في السبب الذي جعل أبا الأسود يرسم النحو، ومن ذلك "أنه لما سمع كلام المولدين بالبصرة من أبناء العرب، أنكر ما يأتون به من اللحن لمشاهدتهم الحاضرة وأبناء العجم. وأن ابنة له قالت له ذات يوم: يا أبه[2] ما أشد الحر، فقال لها: الرمضاء في الهاجرة يا بنية. أو كلاما نحو هذا، لأن في الرواية اختلافا[3]، فقالت له: لم أسألك عن هذا، إنما تعجبت من شدة الحر. فقال لها: فقولي إذا ما أشد الحر. ثم قال: إنا لله، قد فسدت السنة أولادنا. وهمّ أن يضع كتابا يجمع فيه أصول العربية، فمنعه من ذلك زياد... إلى أن فشا اللحن وكثر وقبح. فأمره أن يفعل ما كان نهاه عنه، فوضع كتابا فيه جمل العربية ثم قال لهم: انحوا هذا النحو... ويقال أنه أول من سطر في كتاب الكلام اسم وفعل وحرف جاء لمعنى. فسئل عن ذلك فقال: أخذته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب"[4].

مما سبق يتضح أن اللحن هو الدافع الأساسي لظهور علم النحو والاتجاه إلى بحث قواعده واستنباطها، في حين يرى د. عبده الراجحي أن هذا السبب غير كاف

---

(1) المرجع السابق، 28.
(2) أصلها (يا أبت) بتاء تقلب عند الوقف هاء(يا أبه).
(3) ففي رواية: "يقال أن ابنته قالت له يوما: يا أبت، ما أحسن السماء! قال: أي بنية، نجومها؟ قالت: إني لم أرد أي شيء منها أحسن؟ إنما تعجبت من حسنها. قال: إذن فقولي ما أحسن السماء! فحينئذ وضع كتابا". السيرافي، أخبار النحويين البصريين، 14.
(4) أبو القاسم الزجاجي (ت: 337هـ)، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: د. مازن المبارك، ط6، (بيروت: دار النفائس، 1416هـ = 1996م)، 89. وانظر أيضا: أبا بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي(ت379هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، (القاهرة: دار المعارف، د. ت)، 22، 21.

لتفسير نشأة النحو، فقال: "والأقرب عندي أن النحو ــ شأن العلوم الإسلامية الأخرى ــ نشأ لفهم القرآن"[1].

وهنا يظهر العمل الجليل الذي قام به أبو الأسود الدؤلي المتمثل في نقط المصحف بعد أن سمع قارئا يقرأ: (ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ورسولِه)[2] بالخفض، فأمر كاتبه أن ينقط المصحف وفق حركات فمه[3]. وهذا العمل يتعلق بجوهر اللغة، فلم يدر بذهن أبي الأسود أنه بذلك يصنع نحوا. فهو يصف الظاهرة وصفا لغويا دون أن يسمي مصطلحاتها[4]، فلم يعرف والفتحة والكسرة والسكون والتنوين فهذه المصطلحات ظهرت في فترة متأخرة عنه. إلا أن هذا الجهد يعد اللبنة الأولى في علم النحو.

ثم ظهر عبدالله بن أبي إسحق الحضرمي الذي يعد "أول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة"[5]، فقد تحول بالنحو من مجرد ملاحظات بسيطة إلى قواعد وأصول. قيل عنه: "أول من بعج النحو، ومد القياس، وشرح العلل"[6]. فيكون بذلك قد وضع النحو في إطار واضح، واشتق قواعده، واقامه على القياس، فإنه "هو البحر سواء، أي هو الغاية"[7]. ويعد أول من استخدم مصطلح النحو، لكن عمله هذا بسيط بالمقارنة مع ما قدمه النحاة بعده، فقد روي أن يونس بن حبيب سئل عن علم عبدالله

---

(1) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث في المنهج، د. ط، (بيروت: دار النهضة العربية، 1406هـ=1986م)، 11.
(2) سورة التوبة، الآية: 3.
(3) انظر: السيرافي، أخبار النحويين والبصريين، 12، محمد بن إسحاق أبا الفرج النديم(ت: 385هـ)، الفهرست، د. ح، د. ط، (بيروت: دار المعرفة، 1398=1978م)، 59 والوزير جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت: 624هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1(القاهرة: دار الفكر العربي وبيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1406هـ=1986م)، 40.
(4) انظر: القوزي، مرجع سابق، 32.
(5) ضيف، مرجع سابق، 22.
(6) محمد بن سلام الجمحي (ت: 231هـ)، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: أبو فهر محمود محمد شاكر، د. ط، ج1، (القاهرة: مطبعة المدني ــ المؤسسة السعودية بمصر، د. ت)، 14. وانظر أيضا: الزبيدي، مصدر سابق، 31.
(7) الزبيدي، مصدر سابق، 31.

بن أبي إسحق من علم الناس في عصره، فقال: "لو لم يكن في الناس اليوم أحد لا يعلم إلا علمه يومئذ لضحك منه"[1].

وجاء من بعده تلميذاه: أبو عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر الثقفي، فاهتم الأول باطراد القاعدة وكان متشددا في القياس على الأشيع والأكثر من كلام العرب. وكذلك اهتم الثاني بالقياس المطرد، وقال بتقدير العامل المحذوف، وألف كتابيه "الجامع" و"الإكمال"[2]. فكان لعبد الله وعيسى وأبي عمرو "نشاط كبير وجهد ملموس في ميدان النحو، وهم الذين مهدوا الظهور كثير من الاصطلاحات النحوية بمعناها العلمي والفني بما أثر عنهم من استخدامات لغوية معينة في الشعر والقراءة، كان للتالين من تلاميذهم فضل تسميتها باصطلاح قد لا نزال نستخدمه حتى اليوم"[3].

إن هذه المرحلة من نشأة النحو كانت مرتبطة بالعلوم الأخرى، "فأخذ عن الحديث العناية بالسند، وعن علم الكلام الفلسفة والتعليل، وعن الفقه الأصول ونزعة الاجتهاد والاعتماد على السماع والقياس والإجماع"[4].

ثم تطور علم النحو تدريجيا من عهد الى عهد، فبعد أن كان بسيطا يؤلف مع العلوم الأخرى، صار علما مستقلا بذاته وذلك على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يعد أعظم نحاة البصرة شأنا حيث نضج النحو وتطور على يديه، "فلا غرو أنه لولا تعهد الخليل النحو في نشأته لبعد عنه طور النضج والكمال، فللخليل فضل النهوض به

---

(1) المصدر السابق، 32.
(2) انظر: ضيف، مرجع سابق، 25ــ 28.
(3) القوزي، مرجع سابق، 53.
(4) جورج متري عبدالمسيح وهاني جورج تابري، الخليل: معجم مصطلحات النحو العربي، تصدير: د. محمد مهدي علام، (بيروت: مكتبة لبنان، 1410هـ=1990م)، 449.

كما لأبي الأسود فضل تكوينه"[1]. واستحق بذلك أن يكون المؤسس الحقيقي لعلم النحو العربي.

جاء بعد ذلك سيبويه وهو "أثبت من حمل عن الخليل بن أحمد"[2]. وقد برع في النحو حتى صار إماما يحتذى به. ألف كتابه الذي جمع فيه أقوال من تقدمه من العلماء لاسيما الخليل الذي أكثر من نقولاته، وكانت شخصية سيبويه بارزة في كتابه من خلال ابتداع بعض القواعد وحسن تعليلها وجودة الترجيح[3].

كما ظهرت المدرسة الكوفية التي خالفت المدرسة البصرية في الأسس التي بَنتْ عليها مدرستها، ويؤكد د. شوقي ضيف أن هذا الاختلاف كان لخدمة النحو، فيقول: "إن مدار الاختلاف بين المدرستين الكوفية والبصرية وأئمتهما لم يكن يُراد به إلى المناقضة، وإنما كان يراد به إلى تبين وجه الصواب في إخلاص، ولذلك كثُر بينهم الالتقاء في الآراء وأن يتابع الكوفي البصريين والبصري الكوفيين، وكأنهم جميعا أغصان من دوحة واحدة"[4].

وظهر في الميدان النحوي أيضا مدارس نحوية أخرى[5] اتخذت من مدرستي البصرة والكوفة نبراسا يُحتذى به مع تقديم الإضافات التي تفيد النحو، فكانت المدرسة البغدادية، والمدرسة الأندلسية، ومدرسة مصر والشام.

ومع قيام صرح النحو وعلو شأنه، كان لابد على النحاة أن يعبروا عن نحوهم بلغة خاصة تفي باحتياجاتهم، فسعوا إلى تحرّي الذوق السليم والفطرة اللــغوية القويمة

---

(1) الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، راجعه وعلق عليه: سعيد محمد اللحام، (بيروت: عالم الكتب، 1417هـ=1997م)، 46.
(2) الزبيدي، مصدر سابق ــ 67.
(3) انظر: الطنطاوي، مرجع سابق، 49، 50.
(4) ضيف، مرجع سابق، 178.
(5) انظر: المرجع السابق، 245 – 365 والطنطاوي، مرجع سابق، 109–182.

فجاءت المصطلحات النحوية محققة لما أرادوا.

ب- تعريف المصطلح النحوي.

قبل الخوض في الحديث عن المصطلحات النحوية لابد أن يُنظر في ماهية المصطلح أولا، ومدى الحاجة الداعية إليه في العلوم المختلفة، وطبيعة المصـــــــــــطلح تبعًا

للعلم الذي ينشأ فيه.

تعريف المصطلح

لغة: قال ابن منظور(ت: 711هـ): "الصلاح: ضد الفساد... والإصلاح: نقيض الإفساد... وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه. . والصُّلح: تَصالحُ القوم بينهم. والصُّلح: السِّلْم. وقد اصْطَلَحُوا وصَالحوا وتصالحوا واصَّالحوا، مشددة الصاد، قلبوا التاء صادًا وأدغموها في الصاد بمعنى واحد"[1].

اصطلاحا: عرفه الجرجاني (ت: 816هـ) بقوله: "الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم مما يُنْقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. وقيل: الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى"[2].

ولا يخفى ما بين المعنى اللغوي والاصطلاحي من مناسبة وعلاقة[3]، ففي اللغة يعني التصالح وزوال الخلاف، وفي الاصطلاح يعني اتفاق جماعة معينة في مجال

---

(1) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، د. ح، ج2 (بيروت: دار صادر، د. ت)، 516.

(2) السيد الشريف على بن محمد الجرجاني (ت: 816هـ)، التعريفات، د. ح، د. ط، (الإسكندرية: دار الندى، د. ت)، 33.

(3) هذا ما أكدته الدراسات الحديثة القائمة على المصطلح، فكل مصطلح معنى لغوي معجمي ومعنى دلالي اصطلاحي، وتنتقل دلالة المصطلح تدريجيا من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي. فعندما تصبح الكلمة مصطلحا علميا يتبادر المعنى الاصطلاحي إلى الذهن مباشرة. انظر: القوزي،

معين على أمر معين، أي اتفاق على استخدام ألفاظ مخصوصة متعارف عليها بينهم للتعبير عن أفكارهم ومعانيهم وبيان المراد منها. وهذا ما ذهب إليه مجمع اللغة العربية، فيُقال: "اصْطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف. واصطلح القوم على الأمر: تعارفوا عليه واتفقوا"[1] وهذا اجتمع المعنيان في تعريف واحد، فالفعل (اصطلح) اللازم يفـــــــــــيد

المعنى اللغوي، وإذا عُدِّي بحرف الجر فإنه يفيد المعنى الاصطلاحي.

إن لكل علم مصطلحاته، فلو اتفق اللغويون على ألفاظ خاصة بعلم اللغة لنتج عن ذلك مصطلحات لغوية، وإن تم الاتفاق بين الفقهاء نتج عنه مصطلحات فقهية، وكذلك الأمر إن تم بين النحويين نتج عنه مصطلحات نحوية. فلكل علم أفكاره ورموزه الدالة عليه، وله علاقات لابد من تحديدها. ولحاجة العلماء إلى وجود لغة خاصة بعلومهم، ورغبتهم في تحديد ألفاظ لغوية ذات دلالات حقيقية قاموا بوضع هذه المصطلحات المتفق عليها من قبل أرباب ذلك العلم.

تعريف النحو

لغة: بمعنى القصد والطريق، قال الخليل (ت: 175هـ): "النَّحْوُ: القصد نحو الشيء. نحوت نحوه، أي: قصدت قصده. وبلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية، فقال للناس: انحوا نحو هذا فسمي نحوا"[2].

اصطلاحا: عرفه ابن جني (ت: 392هـ) بقوله: "هو انتحاء سمت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير،

مرجع سابق، 21، 22 وأ. د. محمد إبراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، ط2، (القاهرة: مكتبة الآداب، 2001)، 12.

(1) مجمع اللغة العربية – الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، المعجم الوسيط، ط4، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 1426هـ = 2005م، 520، مادة (صلح).

(2) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، د. ط، ج3، (د. م: دار ومكتبة هلال، د.ت)، 302، مادة (نحو).

والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رُدّ به إليها. وهو في الأصل مصدر شائع، أي نحوت نحوا، كقولك: قصدت قصدا، ثم خصّ به انتحاء هذا القبيل من العلم"[1].

وجاء في اللسان: "الأزهري: ثبت عن أهل يونان، فيما يذكر المترجمون العارفون بلسانهم ولغتهم، أنهم يسمون عِلمَ الألفاظ والعناية بالبحث عنه نحوا، ويقولون كان فلان من النحويين، ولذلك سمي يوحنا الإسكندراني يحي النحوي للذي كان حصل له من المعرفة بلغة اليونانيين"[2] وقد وضع الجرجاني حدا بعلم النحو، فقال: "هو علم بقوانين يعرف بها أحوال التراكيب اللغوية من الإعراب والبناء وغيرهما"[3].

وهكذا انتقل اصطلاح النحو من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي لوجود التناسب والعلاقة بين المعنيين، ويلاحظ أن مصطلح (النحو) في بدايته كان يدل على علمي النحو والصرف. كما يظهر في تعريف ابن جنى، ثم تخصص واستقل بعد ذلك للدلالة على علم النحو فقط.

تعريف المصطلح النحوي:

بعد أن تم تعريف (المصطلح) و (النحو) يمكن الوصول إلى مفهوم المصطلح النحوي، فإضافة الأول إلى الثاني يعني: اتفاق النحاة على ألفاظ وكلمات فنية معينة تدل على مفاهيم وأفكار نحوية، فتعبر عنها وتبين أحكامها وتوضح العلاقات القائمة

(1) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، تقديم: د. عبد الحكيم راضي، د. ط، ج1 (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، 2006م)، 34.

(2) ابن منظور، مصدر سابق، 15/ 309، مادة (نحا).

(3) الجرجاني، مصدر سابق، 264.

بين مكونات الجمل وأقسام الكلام وفقا للمواقع الوظيفية التي تشغلها في علم النحو. فالمصطلح النحوي بمثابة الرمز الذي يعطي معلومات نحوية.

لقد كان للبصريين مصطلحات تختلف عن مصطلحات الكوفيين بالرغم أن مادتهم واحدة وهي النحو العربي، مع تفوق المصطلحات البصرية – لتفوق نحوهم – على المصطلحات الكوفية، لاسيما عند زعيمي المدرسة البصرية: الخليل وسيبويه.

ج- نبذة عن الخليل وسيبويه

أولا: الخليل بن أحمد الفراهيدي[1]:

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي[2] الأزديّ البصري. عبقري من عباقرة العرب ومؤصل علم النحو العربي، وإمام في اللغة والنحو والأدب والعروض. ولد سنة مائة من الهجرة بالبصرة وقيل في قرية عُمانية. كان آية في الذكاء "وقيل: لم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل، ولا أجمع لعلم العرب"[3]، وله حسٌّ لغوي دقيق جعله يفقه أسرار العربية ودقائقها، كما كان شاعرا مُقلا.

لقد انقطع الخليل للعلم، وتتلمذ على أيدي علماء العربية، فقد أخذ عن أبي عمرو بن العلاء(ت: 154هـ)، وعن عيسى بن عمر الثقفي (ت: 149هـ)، وروى الحديث والفقه والقراءات عن أيوب السختياني وعاصم الأحوال والعوام بن حوشب

(1) انظر ترجمته في: السيرافي، أخبار النحويين والبصريين، 30، 31، الزبيدي، مصدر سابق، 47-51، ابن النديم، مصدر سابق، 63، عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني(ت: 743هـ)، إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، تحقيق: د. عبد المجيد دياب، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- شركة الطباعة العربية السعودية، 1406هـ 1986م)، 114، القفطي، مصدر سابق، 1: 376 – 382 الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، ج 1، (بيروت: المكتبة العصرية، د. ت)، 557 – 560و د. إميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في اللغويين العرب، ج1، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية، 1418هـ 1997م)، 225، 226، وغيرها.

(2) الفراهيدي: نسبة إلى فراهيد وهو حي من الأزد، انظر: الزبيدي، مصدر سابق، 47، ويعقوب، مرجع سابق، 1: 225

(3) القفطي، مصدر سابق، 1: 380.

وعثمان بن حاضر عن ابن عباس وغالب القطان وغيرهم. وكان عفيف النفس زاهدا، وكان الملوك يتعرضون لإعطائه وهو لا يقبل، "وقال النضر بن شُميل: أقام الخليل في خُصّ من أخصاص البصرة، لا يقدر على فلس، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال، ولقد سمعته يقول: إني لأغلق عليّ بابي، فما تجاوزه هِمَّتِي"[1].

ولم يبخل الخليل بعلمه على تلاميذه، فنهلوا من علمه حتى حملوا لواء العلم من بعده، ومنهم: سيبويه (ت: 180هـ) – شيخ النحاة في عصره –، والنَّضر بن شُميل (ت: 204هـ)، وأبو مفيد مؤرج السدوسي (ت: 195هـ)، وعلي بن نصر الجهضمي، والأصمعي (ت: 217هـ) والليث بن المظفر، وأبو محمد اليزيدي (ت: 202هـ) وغيرهم. وأعمال الخليل ومصنفاته كثيرة منها: كتاب العين – الذي ضبط به اللغة وحصر مفرداتها، وابتكر العروض حيث كان له معرفة بالإيقاع والنظم، "وقيل إنه دعا بمكة أن يُرزق علما لم يسبقه إليه أحد، ولا يؤخذ إلا عنه، فرجع من حجه ففتح عليه بالعروض"[2]. وله كتاب النقط والشكل وكتاب الشواهد وكتاب العوامل، وكتاب الجمل في النحو، وكتاب فائت العين، وجملة آلات العرب، وكتاب في معاني الحروف، وشرح صرف الخليل، والتفاحة في النحو وغيرها.

وقد كان يحج سنة ويغزو سنة حتى مات. توفى عام خمسة وسبعين ومائة من الهجرة[3]، ثم شغل من بعده بعلمه الوفير واكتشافاته العظيمة وتاريخه المشرف.

ثانيا: سيبويه[4]:

---

(1) المصدر السابق، 1: 380.
(2) المصدر السابق، 1: 377.
(3) اختلفوا في سنة وفاته، فقيل: مات سنة ستين ومائة، وقيل سنة سبعين ومائة وقيل أيضا سنة أربع وسبعون ومائة. انظر الزبيدي، مصدر سابق، 51، اليماني، مصدر سابق، 114، السيوطي، بغية الوعاة، 1: 560 ويعقوب، مرجع سابق، 1: 226.
(4) انظر ترجمته في: السيرافي، أخبار النحويين والبصريين، 37، 38، الزبيدي، مصدر سابق، 66–72، اليماني، مصدر سابق، 242 – 245، القفطي، مصدر سابق، 2: 346–360، السيوطي، بغية الوعاة، 2: 229، 230 ويعقوب، مرجع سابق، 1: 510 وغيرها.

هو عمرو بن عثمان بن قنْبر، مولى بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن جَلْد بن مالك بن أدَدَ. يُكنى أبا بشر، ويلقب بـــ (سيبويه)، ومعناه: رائحة التفاح، فقيل: كانت أمه ترقصه بذلك في صغره، وقيل: كان يعتاد شمّ التفاح. وقيل: لقب بذلك للطافته، لأن التفاح من أطيب الفواكه. وقيل: لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان، وكان في غاية الجمال. وقيل (سيبويه) اسم فارسي كأنه في المعنى ثلاثون رائحة، لأنه كان طيب الرائحة.

ولد بالبيضاء بفارس، ويقال: بالأهواز، ثم هاجر إلى البصرة فنشأ بها. كان سيبويه إمام النحاة، علامة، حسن التصنيف وكان في لسانه حُبْسة وقلمه أبلغ من لسانه. أخذ النحو عن الخليل، ويونس، وعيسى بن عمر، وغيرهم. وأخذ أيضا اللغات عن أبي الخطاب الأخفش وغيره. وكان أول أمره يصحب الفقهاء وأهل الحديث، وكان يستملي عن حماد بن سلمة فلحن في حرف فعاتبه حماد، فأنف من ذلك ولازم الخليل. وقيل أنه أقبل على الخليل، فقال الأخير، مرحبا بزائر لا يمل، ولم يسمع أنه قالها لأحد إلا سيبويه. وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده. "وكان المبرد إذا أراد أحد أن يقرأ عليه " كتاب سيبويه " يقول له: هل ركبت البحر! تعظيما له، واستعظاما لما فيه"[1]. وقال الزجاج: "إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة"[2]. تتلمذ على يديه أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة، وأبو علي محمد بن المستنير قطرب وغيرهما.

وحكايته مع الكسائي في مسألة " كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي" أو "فإذا هو إياها" مشهورة، فقد اختار سيبويه الرفع، واختار الكسائي النصب، ورجح العرب جانب الكسائي والصواب مع سيبويه. ولم تطل مدة سيبويه بعد

---

(1) القفطي، مصدر سابق، 2: 348.
(2) الزبيدي، مصدر سابق، 72.

ذلك، ومات بالبيضاء، وقيل: بشيراز، وقيل: مات غما بمرض لا برء منه سنة ثمانين ومائة[1] وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وقيل نيّف على الأربعين.

إن تقديم هذه الترجمة الموجزة للخليل وسيبويه ليس هدفا بذاته، فهناك الكثير من الكتب التي تناولت حياتهما بالتفصيل، وهما أكبر من أن تضم سيرتهما وحياتهما صفحات كتاب واحد. وإنما الهدف هنا هو الكشف عن العلاقة بينهما ومدى تأثر كل منهما بالآخر، فهما محورا هذا البحث، والصلة بينهما وثيقة، فالخليل أستاذ سيبويه، وسيبويه أثبت من نقل عن الخليل، "وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكل ما قاله سيبويه: "وسألته"، أو"قال" من غير أن يذكر قائله، فهو الخليل"[2].

(1) اختلفوا في مكان وسنة وفاته، فقيل: مات بالبصرة سنة إحدى وستين، وقيل: سنة ثمان وثمانين، وقيل، في سنة تسع وسبعين، وقيل: مات بساوة سنة أربع وتسعين. انظر: اليماني، مصدر سابق، 245، القفطي، مصدر سابق، 2: 348 والسيوطي، بغية الوعاة، 2: 230.

(2) السيرافي، أخبار النحويين والبصريين، 31

مدخل

تطور المصطلح النحوي عند النحويين

بعد أن تم الوصول إلى مفهوم المصطلح النحوي وتحديد المراد منه، وأن ظهوره كان نتيجة الحاجة إليه مع ظهور علم النحو، كان من الطبعي أن يتطور هذا المصطلح مع تطور النحو. فإذا كان أبو الأسود الدؤلي هو من وضع اللبنة الأولى لعلم النحو، فإن علمه هذا لا يعدو عن كونه وصفًا دقيقًا للحركات الإعرابية من ضمة وفتحة وكسرة وتنوين دون وضع مصطلحات ثابتة لها لأن النحو مازال بكرًا في بداية نشأته. وهو "لم يقصد إليه قصدًا، وإنما دفعه إليه حادث معين، أو سبب يتعلق بجوهر اللغة"[1]، فحتى لو وجدت مصطلحات مستخدمه في تلك الفترة للتعبير عن هذا العلم

ومع تطور النحو وانتقاله إلى عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي الذي يمثل البداية الحقيقة لعلم النحو – حيث ظهر مصطلح النحو عنده– كان المصطلح النحوي مسايرًا لهذا التطور، فقد بدأت المصطلحات النحوية في التشكل والتهيؤ للظهور في ميدان النحو.

ويستمر الأمر كذلك حتى وصل النحو إلى زعيمي المدرسة البصرية ومؤسسي النحو البصري: الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه، حيث تمثل هذه الفترة مرحلة تقعيد النحو وتثبيت دعائمه وأركانه فقد ارتفع بناء صرح النحو مشرفا على الانتهاء، مقتربًا من الاستقرار. كل ذلك كان له تأثيره في ازدهار المصطلحات النحوية

(1) القوزي، مرجع سابق، المقدمة، ك.

وتنوعها والوصول بها لمرحلة التأصيل، فوضعا العديد من المصطلحات بشكل مستقر وثابت لعلم النحو وبرغم ما قد يعتري هذه المصطلحات من اضطراب في إطلاقها واستعمالها.

ولا شك أن هذه المصطلحات تطورت وتدرجت في الكم والكيف مع تطور النحو وجهود النحويين. إلا أن مصطلحات الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه – الذي جمع علم أستاذه ومصطلحاته في كتابه فأحسن الوضع والتصنيف والترتيب والتحليل– قد كتب لها البقاء والاستمرار والخلود، ولا عجب في ذلك فالنحو البصري تأسس قبل النحو الكوفي، بل إنه كان أساسًا للنحو الكوفي الذي ظهر بعده وكان لهذا تأثيره في شيوع المصطلح البصري. تقول د. إيناس: "غلبة المصطح البصري وشيوعه في الدرس النحوي لأسبقيته من حيث الوضع، حيث ترجع المصطلحات النحوية البصرية إلى بدايات نشأة النحو، ومنذ عهد الخليل"[1]. ولا يمكن إغفال الدور الذي قدمته مدرسة الكوفة في المصطلحات، فالتنافس العلمي بين المدرستين قد أثرى المصطلح النحوي. كما كان لبقية المدارس دورها الفعال، لكن يظل الجهد العظيم الذي قدمه الخليل وسيبويه باقيًا على مر العصور كما سيتضح ذلك – إن شاء الله تعالى من خلال هذه الدراسة التي بعنوان: "المصطلح النحوي بين الخليل وسيبويه – دراسة نحوية وصفية".

(1) د. إيناس كمال الحديدي، المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، (الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2006م)، 150.